ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

خافوه فأخفوه.. ٣٨ عاماً وغياب الصدر حضور

بعيون زرقاء استقت لونها من البحر وبريق كموج لا يهدأ، وكلمات ثائرة تصدح بلكنة فارسية، وهامة شامخة تعلوها عمة سوداء. وقف والصليب خلفه وكلام القرآن يتردد على شفتيه، في مشهد قل نظيره. ليكون بذلك من يليق به لقب الامام.

الواقع ان الامام موسى الصدر كان اول من كسر صورة رجل الدين النمطية، ليس من خلال انفتاحه على الاديان الاخرى فحسب، بل في انفتاحه على العلوم العصرية ايضا، ذلك لأنه أول معمم نال اجازة في الاقتصاد من جامعة طهران عام ١٩٥٣.

اهتمامه بالعلم عاضده اهتمام بشؤون المجتمع، اذ جهد لنشر الندوات الثقافية من خلال عضويته الادارية في جمعية منتدى النشر في العراق. ولم يحصر نشاطه الثقافي بحدود جغرافية، فقد تولى رئاسة تحرير مجلة «مكتب الاسلام» في ايران، وهي أول مجلة ثقافية اسلامية تصدر في الحوزة العلمية، لذا كان لها وقع في تشكيل الوعي في ايران.

والواضح ان اهتمامه في نشر الثقافة الدينية كان ممنهجاً، فهو لم يغفل عن تطوير المناهج العلمية حيث عمد إلى تدوين مشروع اصلاح للمناهج بالاشتراك مع ثلة من كبار العلماء.

كل مواقع المسؤولية الدينية هذه التي تولاها الصدر، كانت كفلية لتجعل منه الخلف الكفء للسيد عبد الحسين شرف الدين، فكان اماماً لمدينة صور-جنوب لبنان في العام ١٩٥٩.

وما ميّزه كامام فكره المؤسساتي اذ أنشأ مؤسسة جبل عامل المهنية، واعاد هيكلة جمعية البر والاحسان، كما انشأ مؤسسات تعنى بالشؤون التربوية والصحية والاجتماعية.

وما عكس تميّز فكره، مشاركته في المراسم المسيحية لتتويج البابا بولس السادس. علاقته الحسنة هذه مع المسيحين عززتها لقاءاته المتكررة في الفاتيكان، وقد وازى هذا الانفتاح على المسيحيين توطيد علاقاته مع المسلمين السنة، اذ كانت له لقاءات عدة في الأزهر.

والواقع أن السيد حاول التقريب بين السنة والشيعة في أدق التفاصيل واكبر المسائل، بدءًا من اقتراح رفع اذان واحد مرة حسب الطريقة السنية واخرى بحسب الطريقة الشيعية، وصولاً إلى الدعوة لتوحيد الشعائر الدينية بين المذاهب الاسلامية.

انفتاحه هذا لم يقتصر على اللبنانيين بطوائفهم لاسيما حين قال «الطوائف المتعددة في لبنان نوافذ حضارية على العالم»، بل تجاوز حدود الوطن، اذ قام بجولة في اوروبا لشهرين، معلنا أن هدفه التعرف إلى الحضارات. كما سافر الى افريقيا الغربية مقدماً مساعدات رمزية للايتام في كل من ساحل العاج والسينيغال.

وكما اهتم السيد بأيتام أفريقيا فقد اهتم بالشيعة -ايتام الدولة- لذا دعا لانشاء المجلس الشيعي الاعلى وأصبح رئيساً له، هذا المطلب كان مقدمة لحركة انمائية، اذ أنشأ لاحقاً هيئة نصرة الجنوب، كما ضغط لتأسيس مجلس الجنوب من خلال اضراب وطني، وقد هدف المجلس لتنمية الجنوب ورفع الحرمان عن لبنان.

نهضة الصدر لم تكن اجتماعية فحسب بل سياسية أيضاً، اذ أثار حملة تعبوية للدفاع عن الجنوب في وجه الاعتداءات الاسرائيلية، مطالباً بتسليح المواطنين ودعوتهم للصمود، كما اصدر بيانات وألقى خطباً في المساجد والكنائس تحذر من اهمال الدولة لمهمة الدفاع عن الجنوب.

ولأن الاعتداءات الصهيونية كانت تشمل فلسطين أيضا، تصدى لها السيد من خلال جولة على بعض العواصم الاوروبية دعماً للقضية الفلسطينية، حيث عقد مؤتمرا صحفياً في ألمانيا أوضح فيه حقيقة القضية الفلسطينية، منددا بمحاولات تهويد القدس.

وقد آمن السيد أن « للقدس دربًا واحدًا وهو البندقية»، لذا قام بزيارة جبهة السويس حيث دعا الى ضرورة اعلان الجهاد المقدس في سبيل تحرير فلسطين، كما أعلن في خطبة له ان تحرير فلسطين هو سعي لانقاذ المقدسات الاسلامية والمسيحية وسعيٌ لتحرير الانسان.

ولأن السيد ذو قول وفعل، فقد أعلن ولادة «أفواج المقاومة اللبنانية - أمل» التي اتخذت من تحرير الارض والانسان هدفًا لها منذ انطلاقتها في العام ١٩٧٤.

والواقع انه حاول توجيه البوصلة نحو فلسطين المحتلة، من خلال التقريب بين وجهات نظر القيادة السورية والفلسطينية.

تقريب وجهات النظر العربية، هذه وازاها محاولة توفيق للاقطاب اللبنانية المتنازعة ابان الحرب الاهلية، ولم يرَ ان الحل لانهائها يكمن في العلمنة، بل اوجد حلاً وسطاً لا «يسلب الجماهير المؤمنة مكاسبها» فقد اقترح نظامًا مدنيًا متدينًا، مقدماً اقتراحات حول الاصلاحات السياسية والاجتماعية.

فكره السياسي لم ينحصر في لبنان، بل تجاوزه الى ايران اذ كان من الداعمين للثورة الاسلامية ضد الشاه بقيادة الامام الخميني.

ولأن الظلم ظل قائما اذ توالت الاعتداءات الاسرائيلية واجتيح لبنان، قام السيد بجولة على عدد من الرؤساء العرب، وبناء على دعوة من السلطات الليبية توجّه سماحته الى عاصمتها طرابلس، وهناك انقطع الاتصال به وبمرافقيه السيد عباس بدر الدين والشيخ محمد يعقوب عام ١٩٧٨، إلا أن ليبيا ادّعت تركهم أراضيها متجهين إلى إيطاليا، الا ان التحقيقات لم تثبت ذلك.

خافوه فأخفوه ولم يبق له أثر سوى حقيبة يعلوها جواز سفر «فيا كلّ أيام العذابات اشهدي.. أنّا امتطينا صهوة الجرح الذي ظنّوه قاتلنا... وما زلنا نجوب قفار هذا الكون، نبحث عنك سيّدنا»*.

٣٨ عاماً لازلنا نبحث عنه، لم يعد.. لكن وجدنا شيئاً من طيفه في روح كل مقاوم، في بريق كل نصر، وفكر كل انسان حر.

العهد لبنان

سوريا في مواجهة خطر «الوهبنة» بحد السيف!

علي مزيد

منذ اندلاع الأزمة السورية والكثير من وسائل الإعلام الغربية والعربية، فضلاً عن عدد من الجماعات المسلحة، تبذل قصارى جهدها من أجل إظهار البعد الطائفي للصراع كجانب أوحد، فهو بحسب رأيها صراع ما بين أكثرية الشعب السوري «السني المضطهَد»، وبين نظام «علوي مستبد وظالم».

الوجه المضمر للحرب: نهش الهوية الثقافية لسوريا

في الواقع تستهدف المنظمات السلفية الهوية المذهبية لا الطائفية لهذا الشعب العريق.. فالمسلمون السنة السوريون ينتمون عقائدياً بغالبيتهم إلى المذهب الأشعري، وفقهياً إما إلى المذهب الحنفي أو الشافعي.. علماً أنّ هذا الاستهداف ليس جديداً، ومقاومته أيضاً قديمة، من مواجهة أفكار ابن تيمية في القرن الثامن الهجري، إلى مقاومة الهجمات التي شنها الوهابيون العام ١٨١٠ على جبل حوران.. يومها وصل الأمير «سعود الكبير» إلى مشارف دمشق، لكنها صدته فعاد خائباً «فأرعب بذلك سكانها، ورأى بذلك وللمرة الأولى في حياته الثلوج على قمة جبل حرمون». (التهديد الوهابي لبلاد الشام وأثره في تولي سليمان باشا ولاية دمشق، مجلة جامعة الأزهر - غزة، سلسلة العلوم الإنسانية، ٢٠٠٧، المجلد ٩).

أغلب علماء سوريا في النصف الثاني من القرن العشرين حتى أيامنا درسوا في الأزهر.. فبحسب رضوان السيد «ينتمي وهبة الزحيلي (وأخوه محمد والبغا والنابلسي والبوطي وأديب الصالح والعتر وآخرون كثيرون من جيلي السبعينيات والثمانينيات) إلى فقهاء التقليد الإصلاحي الإسلامي الذي استقر بالأزهر أيام شيخه محمد مصطفى المراغي وشيخه مصطفى عبد الرازق» (رضوان السيد: الشيخ وهبة الزحيلي والتقليد الفقهي و «الثورة» السورية. الشرق الأوسط، ١٤ آب، ٢٠١٥). لذلك لم يكونوا على وفاق مع علماء المنهج السلفي وخاصة الوهابي منه وأغلبهم وجّه انتقادات حادة لعلماء السلفية كالألباني وسواه.

يقول الشيخ البوطي: «ابن تيمية يكفّر خصومه لأدنى المواقف الاجتهادية التي قد يخالفهم فيها». (البوطي محمد سعيد رمضان، السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨، ص ١٦٦).

وإذا كان علماء السلفية غالباً ما يتهمون سواهم بالبدع والخرافات، فإن الشيخ البوطي يعتبر مذهبهم برمته مجرد بدعة: «من السهل عليك أن تدرك السبب الخفي في حصر «السلفية» الحق في وجهة نظرهم وحدها.. دوناً من سواهم، إذا علمت مدى ما يفعله التلاقي تحت شعار مذهبي مبتدع كهذا، من تهييج لروح العصبية، واستثارة لمشاعر الأنانية الجماعية، وإيقاظ للرغبة في الانتصار للذات من دون أي التفات إلى ما تقتضيه موازين العدالة والموضوعية، وإلى أن الأصول الإسلامية ومناهج النظر والاجتهاد فيها، هي - لا أصول المذهب السلفي - الحكَم والمرجع للمسلمين جميعاً في ما يجب أن يتفقوا عليه وفي ما لهم أن يختلفوا فيه». (البوطي محمد سعيد رمضان، السلفية مرحلة زمنية، المرجع نفسه، ص٢٥٦).

طيلة السنوات الخمس من الحرب في سوريا، عمدت المنظمات المسلحة الرئيسية، مثل «داعش» و«النصرة» إلى تدمير العشرات من أضرحة الفقهاء والأولياء، وإلى وضع مناهج تعليمية بديلة عن مناهج النظام. أما التعليم الديني لتلك الجماعات فيتبنى القراءة السلفية الوهابية، ضارباً بعرض الحائط الهوية المذهبية لغالبية أبناء الشعب السوري.

رسالة المحيسني: التعاليم الوهابية كبديل للقومية

يمكن اعتبار كُتيب «رسالة إلى أهلنا في الشام»، المؤلَّف من ٨٠ صفحة، وهو نداء وجهه القاضي العام لـ «جيش الفتح» الشيخ السعودي عبد اللّه المحيسني إلى الشعب السوري، نموذجاً لمناهج التعليم الديني السلفي.. ينوّه المحيسني بأن الكُتيب المذكور، «يصلح لأن يُدرّس في الدورات والدروس وأن يكون بديلاً لمادة القومية في المدارس الحكومية التابعة للنظام».

في مقدمة هذه الرسالة يشدّد المحيسني على قدسية أرض الشام مستشهداً بعشرات المرويات فهي: «أرض الملاحم والأحداث العظام قبل قيام الساعة.. وأرض المحشر والمنشر».. ويورد عدداً من أحاديث علامات الظهور وعودة المسيح وظهور الدجال وفقاً للقراءة السلفية.

يبدأ حديثه عن مظاهر الشرك وصوره، بالتحذير الشديد من «الرضى بالديموقراطية وتحكيم الأغلبية بدل الشريعة الإسلامية»، داعياً أهل الشام إلى «الحذر ممن يدعو إلى فصل الدين عن الدولة، فهؤلاء دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها».. فالحكم بالديموقراطية، وفقاً لكلام المحيسني «ليس للّه، بل للأغلب وهذا كفر بواح وشرك صُراح»!

ويحشر المحيسني أنفه حتى في أصغر التفاصيل التي هي برأيه شرك وتعلُّق بغير اللّه، مثل «اتخاذ حلقة أو خاتم أو حبل أو أي حرز بنية جلب الخير أو دفع الضر.. كتعليق العين الزرقاء التي تُرسم على البيوت والسيارات لدفع العين».. ويصل الأمر بالمحيسني إلى اعتبار أنّ بعض الأمثلة التي يكثر استعمالها من قبل أهل الشام، تشتمل على الشرك، من مثل: «أنا داخل على اللّه وعليك»، أو «مالي إلا اللّه وأنت»«اللّه لي في السماء وأنت لي في الأرض»، أو قول «يا محمد» على أسلوب التعجب أو «شاءت الأقدار» أو «شاءت الظروف»، أو «لو أني فعلتُ كذا، حيث قد يصل إلى الشرك الأكبر لأنه اعتراض على قَدَر اللّه».

يعدد المحيسني مجموعة من صور الشرك ولكن المستهدَف الأساسي هذه المرة، يأتي في آخر اللائحة: «الحلف بغير اللّه، التوسل والحلف والاستشفاع بجاه النبي اعتقاد تأثير الأبراج والنجوم والمطالع موالاة الكافرين وتعظيمهم ومحبتهم: مصائب عظيمة ومنها التعلق ببعض الكفار، كاللاعبين والممثلين والمغنين ومناصرة الكفار ومن ذلك، مناصرة النصيرية «العلويين» حتى لو كانوا أقارب وأصدقاء».

أما القسم المعنون بعبارة «همسات للمرأة المسلمة»فيتضمن دعوة لابتعاد المرأة عن زيارة المقابر، والامتناع عن ابتداء الكافرات بالسلام وتبادل المودة معهن، وحرمة القيام بتهنئتهن بأعياد ميلادهن أو أعياد رأس السنة، «ومن مظاهر التبرج كشف الوجه أو وضع غطاء شفاف عليه»وتحريم لبس «الباروكة واجراء عمليات التجميل لمجرد زيادة التحسين»وحرمة تكرار الذهاب إلى الأسواق، وركوب المرأة مع السائق غير المحرم، وحدوث اختلاط بقصد التعليم، كأن يقوم الرجل بتدريس البنات أو بالعكس كأن تقوم المرأة بتدريس الرجال في المدارس والجامعات».. علماً أن المحيسني يعلق على أغلب الأحاديث بالقول: «صححه الألباني»وهذا غير معتمد لدى علماء سوريا الكبار، وأكثر الفتاوى التي يوردها تعود الى شيوخ وهابيين.

نقاوم أو نتلاشى

على مشارف مدينة حلب التاريخية، مدينة العلماء والفلاسفة والشعراء والموسيقى وفن الطبخ، يقف «شويخ» سعودي، بزاد فكري ضحل، يقتصر على حفظ مجموعة من الأحاديث الخلافية، تفوح من أفكاره وأعماله رائحتا الدم والنفط، متسلحاً بأطفال مغسولي الأدمغة، أو بمحبي الموت من أجل الفوز بحورية في سماء ما، مدعيّاً أنّه يهدي ويعلّم واحداً من أكثر شعوب الشرق عراقة وثقافة وتديناً، يلقنه ألف باء إسلام قاحل ومزيّف، وكأن المسلمين السوريين قد دخلوا في الإسلام العام ٢٠١١ أو مع تأسيس «جيش الفتح وأشباهه».

لقد حدث أن واجه الشعب المصري تحدياً مشابهاً لما يواجهه السوريون اليوم لناحية «الغزو الوهابي» بعد «حرب اكتوبر»، لكنه كان غزواً ناعماً بالبترودولار، وباستمالة العمالة المصرية وعدد من مشايخ الأزهر، ثم تعاظم مع تأسيس «حزب النور» وباقي الجماعات ذات الاتجاه السلفي.. أما سوريا فتشهد اليوم عملية «وهبنة» بحد السيف وغسل عقول الأطفال والسذّج.

يصف كاتب السيناريو المصري الشهير، أسامة أنور عكاشة عملية «وهبنة» مصر بأنها «انسلاخ من الأنا والحلول في الآخر، ليس مجرد الانتقال من الأعلى للأدنى فحسب، بل هو التلاشي الفارط في السذاجة في هوية الآخر، من دون جدارة... هو شكل من أشكال الاختطاف والمصادرة الشاملة». (الخياط هيثم: أسامة أنور عكاشة: (وهبنة) الثقافة المصرية، «مجلة حركة مصر المدنية» ٢، آب، ٢٠١١).

فهل سينسلخ السوريون ومعهم العرب عن هويتهم الثقافية ليتلاشوا في بدعة جافة، مجافية لتأويلات الإسلام المتعددة، وبعيدة عن معاني التراحم والتنوع والانفتاح؟ أم تراهم سيواجهون هذا الخطر المحدق بحريتنا وحاضرنا ومستقبل أجيالنا وبلادنا؟

جلاوزة " آل خليفة " علامة فارقة في التحلل الأخلاقي..٢

القسم الثاني ـــــــ حميد حلمي زادة

لانتردد في القول بأنّ الأتعس من جلاوزة النظام البحريني هم "آل خليفة" انفسهم ، لسبب وجيه وهو أنهم اضفوا على انفسهم هالة فارغة تحصنهم من أية محاكمة او ملاحقة قضائية او حتى من تجريد للجنسية او المواطنة كما يتعاملون مع المكوِّن الاساسي للشعب ، وهم المواطنون الشيعة وأتباع مذهب الامام جعفر الصادق عليه السلام .

- فخلال الاعوام الخمسة الماضية من عمر ثورة البحرين السلمية عمد النظام الخليفي الى اغلاق آلاف المساجد والحسينيات بل سوّى اعدادا كبيرة منها بالأرض ! ؟

- منع العبادة والمناسبات الدينية وصلوات الجمعة ومنها اكبر صلاة جمعة للمسلمين الشيعة في البحرين.

- فصل الآلاف من وظائفهم ، واستقدم أفرادا أجانب ليحلوا مكانهم في مؤسسات الدولة ودوائرها المختلفة.

- زجّ بعلماء الدين الأفاضل وزعماء الأحزاب الوطنية ورئيس جمعية الوفاق سماحة العلامة الشيخ علي السلمان في غياهب السجون واصدر احكاما جائرة بل وقرقوشية أحيانا بحقهم.

- سجن المئات من الناشطين في مجالات حقوق الانسان والمدافعين عن الحقوق المدنية والدستورية والمواطنين نساء ورجالا ، شيوخا وشبابا واطفالا ، تحت ذريعة " المساس بأمن الدولة" . ويتعرض الدكتور نبيل رجب رئيس مركز البحرين لحقوق الانسان الملقى في السجن لظروف قاهرة تسببت في نقله الى المستشفى عدة مرات نتيجة لآلام حادة في الصدر . ومثله هناك المئات ممن يكابدون عسف جلاوزة النظام القبلي التكفيري ، وهم سجناء او معتقلون ، بل ولقي البعض وهم اساسا من الموقوفين مصرعهم تحت وقع التعذيب الهمجي لجلاوزة آل خليفة.

- لقد استشهد الكثير من المسجونين تحت التعذيب وبإشراف كبار جلاوزة النظام ومنهم الطاغية "خليفة خليفة" ، بيت قصيد هذا المقال. فما كان من "الملك" حمد بن سلمان آل خليفة الاّ أن قام بترقيته في تموز الماضي ٢٠١٦ من رئيس شرطة المحافظة الجنوبية الى نائب مدير الأمن العام تكريما لممارساته التعسفية القمعية ضد ابناءالشعب البحريني!!!؟

واضح أن الشعب البحريني الثائر من أجل تحقيق العدالة والمساواة وتوفير فرص المواطنة الناجزة بعيدا عن المحسوبيات والمنسوبيات والعصبيات القبلية والمذهبية والسياسات الإقليمية والعقائد التكفيرية المعروفة ، هو في وضع لا يحسد عليه حاليا ، سيما وان "التحالف التاريخي الخليفي - البريطاني " ماض على قدم وساق في تجاهل خصوصيات من هم أهل البحرين أصالة وعراقة ووطنية وإخلاصا ، وفي تكبيدهم المعاناة تلو الاخرى والإثقال والتضييق عليهم اكثر فاكثر.

ومن المؤكد ان ثورة الشعب البحريني ما فتئت تسدد فواتير مضاعفة بجريرة تمسكها بالخطاب

الحضاري والحقّاني حتى النهاية .

فالعائلة الخليفية الحاكمة تكاد تفقد صوابها بعدما فقدت شرعيتها من زمان، وذلك بسبب اساليبها الوحشية التي صار يتبرأ منها حتى بعض الغربيين - جراء فشلها الذريع في استدراج الشعب الى المواجهة والتصادم .

ومن هنا يتضح المغزى من تجرؤ نظام الجلاوزة اخيرا على رمز الثورة البحرينية في وداعتها وثقافتها العالية وانضباطها وتمسكها بطاعة القائد الحكيم والشيخ الحليم - ونعني سماحة آية اللّه العلامة عيسى قاسم (دام ظله الوارف) ، بقرار سحب الجنسية من هذا المرجع الديني وابن البحرين الأصيل كابرا عن كابر ، تمهيدا الى نفيه لاحقا من مسقط رأسه.

ولكن الشعب البحريني واستهداء بتوجيهات علماء الدين الأجلاء ، فوّت الفرصة من جديد على آل خليفة وجلاوزتهم الساعين وبشتى الاساليب الى جرّه للمجابهة ، علهم يحصلون على أية حجّة يواروا بها سوآتهم وجرائمهم الإرهابية ، ويغطوا بها على اجراءاتهم الدموية في السجون والمعتقلات وسلوكياتهم الجاهلية الشنعاء على مستوى مؤسسات الدولة والدوائر الحكومية وفي الشارع.

ووفقاً لتقرير نشر في وقت سابق بمجلة "التايم" الأمريكية فإن (التمييز ضد الشيعة في البحرين خطير وممنهج لدرجة تكفي لاعتماد مصطلح الفصل العنصري عند الحديث عنه). ومثل ذلك ترى منظمة "كريستشين سينس مونيتر" الدولية أن ما يجري في البحرين ما هو إلا "شكل من أشكال الفصل العنصري الطائفي".

واضاف التقرير : (لن ينتظر العالم كي تقتنع البحرين بأن ما تقوم به إزاء المواطنين الشيعة هو نوع من الـ"أنتي شيعيزم". هناك في واشنطن من استشعر بدقّة خطر اللعبة التي تلعبها العائلة الحاكمة البحرينية فأعطى ما تقوم به الاسم اللازم له بأنه تهديد جدّي لـ"أمن المنطقة". لذا بقي على الصغير أن يكفّ يده إذاً).